

## هآرتس / الهجوم الأمريكي هو إنجاز للأسد



08:11 - 2018 إبريل 16

الرئيس السوري بشار الأسد يستطيع أن يسجل لنفسه اليوم انتصار آخر في النضال على الرأي العام وتأييد العالم العربي كله. من هذه الناحية فإن مهاجمة الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا للمنشآت الأمنية في سوريا هي فشل للتحالف المرتجل الذي قاده الرئيس ترامب إلى جانب رئيس فرنسا ميكرون ورئيسة وزراء بريطانيا تريزا ماي، هو بالتأكيد أكثر من نجاح لبشار الأسد نفسه.

الدول العظمى الغربية لم تتعلم بأن أي هجوم غربي على عاصمة عربية لن يخرج السكان للاحتفال في الشوارع ولن يحظى بتأييد يؤدي إلى تغيير الرأي العام، دون علاقة بدرجة الطغيان للزعيم الذي يقف على رأسهم. وهكذا فإن المعارضين الأكثر حدة للنظام السوري يجدون صعوبة في أن يهتفوا للهجوم. من المهم القيام بفصل جوهري بين موقف زعماء عدد من الدول ومنها دول الخليج وبين الوعي العام لسكان العالم العربي والعالم الإسلامي.

جهاز الاعلام السوري لم يكن بحاجة إلى جهد خاص بشأن مهاجمة ثلاث دول عظمى لدمشق وضواحيها. الهجوم حظي على الفور باسم العدوان الثلاثي - وهو اسم منقوش جيدا في الوعي القومي العربي منذ 1956 عندما اتخذ جمال عبد الناصر، الرئيس المصري في حينه، القرار التاريخي بتأميم قناة السويس، الأمر الذي أدى إلى هجوم ثلاثي من بريطانيا وفرنسا وإسرائيل ضد مصر. الموقف الصلب للشعب المصري في حينه إلى جانب دعم الاتحاد السوفييتي أدى إلى انتصار سياسي وانتصار كبير لدى الرأي العام لناصر والذي حظي بتأييد العالم العربي كله وتأييد دول كثيرة في أمريكا اللاتينية وشرق آسيا. الرواية في حينه كانت واضحة، انتصار الخط القومي العربي أمام دول الامبريالية والكولونيالية والهام الشعوب التي ناضلت من أجل الحرية والاستقلال السياسي والاقتصادي.

هذه المرة الأمر يتعلق بسيناريو آخر مختلف تماما. الأسد بعيد جدا عن ناصر، ويختلف عنه من ناحية شخصية، وأجندة ورؤية استراتيجية. هذه المرة يدور الحديث عن طاغية حصل على نظامه بالوراثة من والده، ومسؤول عن جرائم لا تغتفر ضد شعبه. ومن يسعى إلى وجود حقوق إنسان وقيم ديمقراطية لا يمكنه أن يؤيد أفعاله، ولكن في حين أن الدوافع التي تقف خلف أفعاله واضحة، الأمر يتعلق بزعيم يفعل كل ما في استطاعته للحفاظ على كرسيه، فإن الدوافع التي تقف خلف أفعال ترامب وميكرون وماي أقل وضوحا. في الوقت الذي يتفاخر فيه هؤلاء بالمسؤولية عن حقوق الإنسان والقيم العالمية، فإن الذبح المتواصل في اليمن برئاسة السعودية بقي دون رد من جانب العالم الغربي. ترامب يواصل منح دعمه غير المحدود للسلوك الإسرائيلي أمام الشعب الفلسطيني، وشريكه يكتفيان بتصريحات ادانة لفظية. إن ما يحدث على طول حدود قطاع غزة في الأسابيع الأخيرة لم يتسبب حتى بدعوة لضبط النفس من قبل الطرفين، ومبعوث ترامب، جيسون غرينبلات، اختار بالتحديد أن يقدم نصائح أخلاقية للفلسطينيين. إذا كان

الهدف هو الحفاظ على حقوق الانسان فيجدر ايضا التطرق الى طبيعة النظام المتواصلة في السعودية وباقي دول الخليج، التي ليست أقل شمولية من النظام السوري.

إن دم الشعب السوري لا يختلف عن دم الشعب اليمني والفلسطيني. إن سلوك زعماء العالم الغربي في حفل الاقنعة كشف مرة اخرى اللعبة المزدوجة التي يلعبونها، وفقا لخارطة المصالح التي تخدمهم. على اولئك الذين يسعون الى الوصول الى عالم عقلاني وعادل اكثر، التطرق اولا الى المسألة الاقدم في الشرق الاوسط، منح دولة مستقلة للفلسطينيين. إن التجاهل والاهمال المشترك كشف في نهاية هذا الاسبوع مرة اخرى النفاق الذي تتصرف به الدول الرائدة في الغرب، ونقطة الضعف هذه بالضبط تخدم الرئيس السوري في الحرب على تأييد العالم العربي. الاسد انتقد في الماضي انه لو اتفق مع سياسة الولايات المتحدة وسعى الى تسوية مع اسرائيل من خلال ترك ايران وحزب الله لم يكن ليهم أحد من الدول العظمى الغربية شيء بشأن مسائل حقوق الانسان، وربما حتى أن ابنه كان سيصل الى الرئاسة.

في سوريا وفي اغلب دول العالم العربي ومنها ايضا المعارضة للاسد يفهمون أن الهجوم الاخير لن يؤدي الى تغيير جوهري في توازن القوى. من المشكوك فيه اذا كانت ستمهد الارض لاتفاق سياسي جديد، يضمن تحقيق الطموحات الحقيقية للشعب السوري. في نهاية الامر يدور الحديث عن استعراض قوة آخر لا اكثر. اذا كان الغرب يسعى حقا لمصلحة الشعب السوري لكان زعماء الدول يمنحون دعمهم للمعارضة الوطنية والديمقراطية في سوريا التي تحلم بدولة حديثة وديمقراطية تمنح الحرية لكل المواطنين، ولا تؤيد دول اغدقت المال والسلاح على تنظيمات قاتلة، جعلت الشعب السوري يختار بصورة غير ممكنة بين نظام البعث ونظام داعش أو جبهة النصرة.

ولكن ترامب واصدقاءه لا يهتمون بمصالح الشعب السوري، بل بمصالح دولهم وحلفاءهم الاثرياء في الخليج. الموقف الذي اختاروه في هذه اللحظة لن يؤدي في أي يوم الى اقامة دولة حرة وديمقراطية في الشرق الاوسط مثل التي تتحدى الانظمة القائمة وربما ايضا اسرائيل.